سورة الإسراء وحقيقة الصراع مع بني إسرائيل تحديات وحلول

Surah Al-Isra and the Reality of the Conflict with the Children of Israel: Challenges and Solutions

عماد محمد عبدالله

Imad Muhammad Abdullah

أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية المساعد بالجامعة الإسلامية العالمية

جمهورية مصر العربية

مقدم إلى: المؤتمر الدولي والموسوم:

بـ(القضية الفلسطينية تحدياتها وآفاقها وتأثيراتها في الواقع المعاصر)

البريد الالكتروني: emamna54@gmail.com

الملخص

تعتبر سورة بني إسرائيل من السور التي تناولت حقيقة الصراع بين المسلمين واليهود فقد بدأت بالحديث عن معجزة الإسراء وربطت بين المسجد الحرام والمسجد الآقصى في إشارة إلى العلاقة الوثيقة بينهما فكلاهما مهبط الوحي،وفي ذلك إشارة واضحة للأمة المسلمة كون هذه البقعة لكم لا غيركم ولا يمكن لكم التفريط في شبرواحد منها فهي ملك المسلمين أجمعين ولو ضاع منها شئ فالجميع آثم إمام الله تعالى،وصلاة نبيكم صلى الله عليه وسلم بالأنبياء تعني تسلم القيادة بعد أن تم استبدال بني إسرائيل بسبب كفرهم وإفسادهم وقتلهم الأنبياء وظلمهم.

انتقلت السورة الكريمة إلي حلقة من حلقات تاريخ بني إسرائيل وإفسادهم في الأرض مرتين وتسليط الله تعالى عليهم عباده أصحاب البأس الشديد،ثم علوهم الثاني ووصولهم إلى ذروة القوة والمنعة والجبروت والطغيان ومجئ وعد الآخرة وذهاب ريحهم ودولتهم وعلو أهل الإسلام عليهم ودخلوهم المسجد كما دخلوه أول مرة وتتبيرهم ما علوا تتبيرا.

فالسورة في مجملها ترسم للأمة المسلمة حقيقة الصراع وكيفية الخروج منه وشروط النصر ومقوماته.

والبحث يحاول: الوقوف على هذا الصراع ومعالم النصر على هذه الفئة المتكبرة المتجبرة من خلال سورة الإسراء حيث العمل على تحقيق القوة المادية والروحية لأبناء الأمة،ورسم منهجية للخروج من هذه الأزمات خاصة في الواقت الراهن.

الكلمات المفتاحية :الإسراء... بني إسرائيل... الأمة.... القوة... الإيمان... الأخوة.... العبودية.

المقدمة

الحمد لله العلي القدير،الذي شملت قدرته كل مخلوق،وقدر مقادير الخلائق وآجالهم وشرع لهم مايصلح حياتهم،وأشهد أن لا إله إلا الله،وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،وبعد...

فإن سورة الإسراء من السور التي تناولت حقيقة الصراع الدائر بين المسلمين واليهود،حيث بدأت بالحديث عن معجزة الإسراء،والربط بين المسجد الحرام،والمسجد الآقصى في إشارة واضحة بينهما،حيث علاقة الشرف بالشرف،فكلاهما مهبط الوحي،وموطن الأنبياء والرسل،وفي ذلك إشارة للأمة المسلمة إلى أن هذه البقعة هي ميراثكم،وصلاة النبي صلى الله عليه وسلم بالأنبياء يعني تسلم القيادة بعد أن تم استبدال بني إسرائيل بسبب إفسادهم وكفرهم.

انتقلت السورة الكريمة إلي حلقة من حلقات تاريخ بني إسرائيل وإفسادهم في الأرض مرتين وتسليط الله تعالى عليهم عباده أصحاب البأس الشديد،والعبودية الصادقة حيث نسبهم لنفسه،ثم علوهم الثاني ووصولهم إلى ذروة القوة والمنعة والجبروت والطغيان،بحبل من الله،وحبل من الناس،ومجئ وعد الآخرة،وذهاب ريحهم،وعلو أمة الإسلام عليهم،ودخلوها المسجد كما دخلوه أول مرة وتتبيرهم ما علوا تتبيرا.

وختمت السورة الكريمة بالحديث عنهم وكيف أن الله تعالى يأذن بجمعهم ومجيئهم لفيفاً في هذه البقعة من الأرض،ليتم تنفيذ مراده و قدره عزوجل،ومشيئته الغالبة النافذة،فالسورة في مجملها ترسم للأمة المسلمة حقيقة الصراع،وكيفية الخروج منه وشروط النصر ومقوماته.

والبحث يحاول: الوقوف على هذا الصراع ومعالمه،وشروط الغلبة على هذه الطغمة المتكبرة المتجبرة من خلال سورة الإسراء،حيث تحقيق القوة المادية والروحية،ورسم منهج للأمة للخروج من أزماتها خاصة في الواقت الراهن،وما وصلت إليه القضية الفلسطينية،حيث الإبادة الجماعية،والتهجير ،وهذه التطورات الخطيرة التي تحيط بها وتأثيراتها في الواقع المعاصر خاصة بعد معركة طوفان الأقصى وما ترتب عليها من أحداث.

وبناءً عليه كان هذا النشاط العلمي الرائع والمتميز والذي تتبناه: «كلية العلوم الإسلامية في الجامعة العراقية»،والذي بعنوان: «القضية الفلسطينية تحدياتها وآفاقها وتأثيراتها في الواقع المعاصر».واخترت منه المحور الأول: والموسوم بـ«القضية الفلسطينية والتحديات الراهنة وآفاق المستقبل في ضوء القرآن والحديث».وعنونت بحثي بـ« سورة الإسراء وحقيقة الصراع مع بني

إسرائيل تحديات وحلول».

واستخدمت فيه عدداً من مناهج البحث العلمي وهي: «المنهج الاستدلالي» و «المنهج التحليلي»، و «المنهج الاستنباطي» و «التأريخي».

هذا وقد أقيم البحث على: «مقدمة،ومبحثين،وخاتمة».

المبحث الأول: سورة الإسراء وحقيقةالصراع مع بني إسرائيل.

المبحث الثاني:معالم النصر من خلال سورة الإسراء.

وتشتمل الخاتمة على: نتائج البحث... وتوصياته... ومصادره ومراجعه.

المبحث الأول
سورة الإسراء وحقيقةالصراع مع بني إسرائيل

تعد سورة الإسراء من أهم السور التي تناولت الصراع مع اليهود،و«تسمى- أيضا- بسورة بنى إسرائيل. [١] وسبب تسميتها بالإسراء: «لافتتاحها بمعجزة الإسراء للنبي صلّى اللّه عليه وسلم من مكة إلى المدينة ليلا،كما سميت أيضاً سورة بني إسرائيل،لإيرادها قصة تشردهم في الأرض مرتين بسبب فسادهم.[٢]والسورةأخبرت :« عن قصة بني إسرائيل في حالي الصلاح والفساد،بإعزازهم حال الاستقامة وإمدادهم بالأموال والبنين، وتشردهم في الأرض مرتين بسبب عصيانهم وإفسادهم. [٣]

فقدأوحى اللّه :«إلى بنى إسرائيل في التوراة وحياً مقضياً أى: مقطوعاً بحصوله بأنهم يفسدون في الأرض مرتين، وأقسمنا لتفسدن في أرض الشام وبيت المقدس أو في كل أرض تحلون فيها لتفسدن مرتين،ولتفسدن نفوسكم بمخالفة ما شرعه لكم ربكم في التوراة، لتفسدن مرتين..... ولتعلن وتتجاوزن حدود الشرع والعقل بالبغي والظلم والتعالي على الناس والكبر.

فإذا جاء وعد أولاهما،وحان وقت العقاب الموعود به في الدنيا على المرة الأولى بعثنا عليكم عباداً من عبيدنا أولى بأس وقوة، أصحاب عدة في الحروب وعدد، وهؤلاء القوم الذين أغاروا عليكم قد جاسوا خلال الديار، وفتشوا البلاد، ونقبوا عليكم ليستأصلوكم بالقتل والتشريد، وهكذا كل أمة تفسد في الأرض بالبغي والظلم،حتى تفسد نفوس أبنائها وتطغى لا بد من أن يرسل اللّه عليها من يذلها ويذيقها سوء العذاب جزاء فسادها ولو كان المؤدب لها من الكفار المشركين ... وهذا قضاء محتوم، وسنة لا تتخلف، ووعد محقق، وكان وعد ربك مفعولا حتماً.

هذا الدرس القاسي الذي تلقاه بنو إسرائيل .... قيل: هو بختنصر وقيل: هو جالوت، وقيل: جند من بابل أو فارس، واللّه أعلم بذلك، وليس القرآن كتاب تاريخ حتى تلزمه ببيان الشخص أو الجماعة بالضبط مع تحديد المكان والزمان، ولكن القرآن جاء للعبرة والعظة، والنظرة العليا التي

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي (٨/ ٢٧٣) الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة الطبعة: الأولى
(٢) التفسير المنير للزحيلي (١٥/ ٥) الناشر : دار الفكر المعاصر – دمشق الطبعة : الثانية ، ١٤١٨ هـ
(٣) المصدر السابق (١٥/ ٦)

هي أسمى من هذا وذاك، لعل الناس يعتبرون بالحوادث. (١)

إذاً كلما أفسد اليهود وطغوا وعلوا تحققت فيهم سنة الله تعالى بأن يرسل إليهم من يسومهم سوء العذاب سواءً قبل مجئ النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم وأمته أو بعد مجيئهم.

والناظر لتاريخهم قبل الإسلام وبعده يجد هذا الملح واضحاً كل الوضوح وأقف هنا مع حالهم بعد مجئ الإسلام لمحدودية البحث:

(١) العهد النبوي

عندما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة كان يسكنها اليهود فعقد معهم المعاهدة ووضع وثيقة أسست للتعايش مع غير المسلمين،وظل يتعهدهم صلى الله عليه وسلم ببره هذه الصحيفة تبين دعائم المجتمع الجديد وعلاقة المسلمين باليهود فقد أقر النبى صلى الله عليه وسلم اليهود على دينهم وأموالهم وعاهدهم على الحماية والنصرة،وهذة بعض نصوصها : هذا :«كتاب من محمد النبي (رسول الله صلى الله عليه وسلم) بين المؤمنين والمسلمين من قريش (وأهل يثرب)، ومن تبعهم فَلَحق بهم وجاهد معهم إنهم أمة واحدة من دون الناس وإن المؤمنين المتقين (أيديهم) على (كل) من بغى منهم أو ابتغى ظلم أو إثمًا أو عدوانًا أو فسادًا بين المؤمنين، وإن أيديهم عليه جميعًا، ولو كان ولد أحدهم.

ولا يقتل مؤمن مؤمنًا في كافر، ولا ينصر كافرًا على مؤمن

وإن ذمة الله واحدة، يجير عليهم أدناهم، وإن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس.

وإنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة، غير مظلومين ولا متناصر عليهم.

وإن سلم المؤمنين واحدة لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله، إلا على سواء وعدل بينهم.

وإنه مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مرده إلى الله وإلى محمد (صلى الله عليه وسلم)

وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين. (٢)

والناظر إلى أصول هذه المعاهدة يجد رغبة المسلمين فى التعاون الخالص مع يهود المدينة لنشر السكينة فى ربوعها والضرب على يد كل معتد على حرماتها وهذه هى سمة الإسلام فالأمة المسلمة تسالم من سالمها بكل ما تحويه معنى كلمة السلام أما من يعتدي عليها ويحتل أرضها

(١) التفسير الواضح للحجازي (٢/ ٣٥٤/ ٣٥٥)باختصار الناشر: دار الجيل الجديد – بيروت الطبعة: العاشرة - ١٤١٣ هـ

(٢) السيرة النبوية عرض وتحليل: للصلابي ١ / ٣٢٦ /٣٢٧ باختصار. طبعة مؤسسة اقرأالطبعة الاولى سنة ٢٠٠٥ م

ويدنس مقدساتها ويقتل أبنائها ويخرب ويفسد ويخون فله موقف آخر عمله لنا الإسلام ونبيه صلى الله عليه وسلم معهم عندما خانوا وغدروا،فكانت النتيجة أن سامهم الله سوء العذاب بيد نبي الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عليهم رضوان الله بداية من بني (قينقاع) ومروراً ببني (النضير)وبني (قريظة) إلى (خيبر)وتم إجلائهم عن المدينة كما حكى لنا القرآن في سورة الحشر يقول تعالى: {هوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَاأُولِي الْأَبْصَارِ (٢) وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ} [الحشر: ٢، ٣]وتولى الصحابة رضوان الله عليهم المسيرة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتشر الإسلام وعلت كلمته بعد القضاء على أكبر عدو في الجزيرة العربية وهم اليهود والذين أشركوا يقول الله تعالى: {لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا} [المائدة: ٨٢]

وانتهت هذه الجولة بتسلم عمر بن الخطاب بيت المقدس ومفاتيحه أولى القبلتين وثالث الحرمين ومسرى النبي صلى الله عليه وسلم بعد جولات من أول غزوة (مؤته) و(تبوك) وبعث (إسامة بن زيد)وكل ذلك كان تمهيداً لفتحه،ونهاية بجيوش الفتح التي قادها أبوعبيدة بن الجراح في بلاد الشام،وتسلمت الأمة المسلمة ميراث الأنبياء وهي بيت المقدس الأرض المباركة وذهب أمير المؤمنين (عمر بن الخطاب) بنفسه ليدل دلالة واضحة على أهمية المكان وقداسته ومحورية هذه المنطقة للأمة المسلمة،هذه حلقة من حلقات الصراع مع اليهود وأنتهت بخذلانهم وإجلائهم وانتصار الأمة المسلمة عليه وعلى من عاونهم.

(٢) اليهود بعد الإجلاء

لم ينتهي عداء اليهود للأمة المسلمة بعد إجلائهم،بل تغير وأخذا شكلاً أخرى بدل المواجهة حيث قوة الأمة يومها وخلافتها الراشدة فكان المكر والدهاء وإشاعة الفتن وإثارة القلاقل كما قال ربنا عزوجل حاكياً عن طبيعتهم:{ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ} [المائدة: ٦٤]

فنجد:«السبئية: هم أتباع عبد الله بن سبأ اليهودي قيل إنه من الحيرة بالعراق،وقيل -وهو الراجح- إنه من أهل اليمن من صنعاء،وقيل أصله رومي أظهر الإسلام في زمن عثمان خديعة ومكراً، وكان من أشد المحرضين على الخليفة عثمان رضي الله عنه حتى وقعت الفتنة.

وهو أول من أسس التشيع على الغلو في أهل البيت،ونشط في التنقل من بلد إلى بلد؛ الحجاز والبصرة والكوفة،ثم إلى الشام، ثم إلى مصر وبها استقر، ووجد آذاناً صاغية لبثّ سمومه ضد الخليفة عثمان والغلو في علي،وهذا النشاط منه في نشر أفكاره مما يدعو إلى الجزم بأن اليهود يموِّلونه،إذ كلما طرد من بلد انتقل إلى آخر بكل نشاط،ولاشك أنه يحتاج في تنقله هو وأتباعه إلى من يموِّلهم وينشر آراءهم، ومن يتولى ذلك غير اليهود الذين آزروه في إتمام خطته ليجنوا ثمارها بعد ذلك الفرقة وتجهيل المسلمين والتلاعب بأفكارهم. (١) وانتهىالفتن بمقتل عثمان بن عفان رضى الله عنه وذهب ضحية لمكرهم،وجاءت بعد ذالك الفتنة الكبرى والتي أججوها وانتهت بمقتل على بن أبي طالب رضى الله عنه،ولا يزالون يبثون سمومهم بإثارة الخلافات والنعرات والأفكار الهدامة ووصولاً إلى وتكوين الفرق الباطنية وإعانتهم على ضلالهم وصولاً إلى يهود الدونمة ودورهم الخبيث وتكوينهم الجمعيات السرية التي اسقطت الخلافة العثمانية فهم وراء كل فتنة وبلاء في القديم والحديث.

(٣) اليهود بعد سقوط الخلافة العثمانية

الحلقة الثالثة للمكر اليهودي وهي الأشد والأعنف فبعد سقوط الخلافة والتي كانت حجر عثره أمامهم في تنفيذ مخططاهم اللعينة وتفرق الأمة المسلمة بدء اليهود في تفيذ مخططهم وتأسيس دولهتم تحديداً في فلسطين والتحكم في العالم وتسخيره لخدمتهم لأن عقيديتهم أنهم شعب الله المختار فلابد من إفساد الشعوب وغزوهم بإفساد عقائدهم ونشر الانحلال فيهم والقضاء على الأمة المسلمة وعقيدتها ووسائلهم في ذلك كثيرة ومتنوعة سواء كانت فكرية أو مادية أو أخلاقيه وظهور الاتجاهات والمدارس المختلفة كالعلمانية والشيوعية والرأسمالية والعولمة الثقافية والغزو الفكري وغير ذلك.

ولتنفيذ مخططهم تم تأسيس:«المنظمة الصهيونية العالمية عام ١٨٩٧ في المؤتمر الصهيوني الأول. كان اسمها في البداية:«المنظمة الصهيونية» وحسب (ولكن الاسم عُدِّل عام ١٩٦٠ ليصبح «المنظمة الصهيونية العالمية».وعُرِّفت المنظمة عند تأسيسها بأنها الإطار التنظيمي الذي يضم كل اليهود الذين يقبلون برنامج بازل ويسددون رسم العضوية (الشيقل) ، وقد أنيطت بها مهمة تحقيق الأهداف الصهيونية التي جسدها برنامج بازل وعلى رأسها إقامة وطن قومي لليهود

(١) فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها،لغالب (١/ ٣٢٢) الناشر: المكتبة العصرية الذهبية للطباعة والنشر والتسويق، جدةالطبعة: الرابعة، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

في فلسطين «يضمنه القانون العام» وهي عبارة تعني في واقع الأمر: «تضمنه القوى الاستعمارية في الغرب». وكانت المنظمة بمنزلة هيئة رسمية تمثل الحركة الصهيونية في مفاوضاتها مع الدول الاستعمارية الرئيسية آنذاك من أجل استمالة إحداها لتبنِّي المشروع الصهيوني، وكانت إطاراً لتنظيم العلاقة بين الصهاينة الاستيطانيين والصهاينة التوطينيين، أي أن تأسيسها كان بداية انتقال النشاط الصهيوني من مرحلة البداية الجنينية التسللية إلى مرحلة العمل المنظم على الصعيد الغربي.

ولتنفيذ مخططها الاستيطاني والتوطيني عملت المنظمة على إنشاء عدد من المؤسسات المالية لتمويل المشروع الصهيوني. (١)

وفي :«مايو عام ١٩٤٨،قام ديفيد بن جوريون رئيس اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية/الوكالة اليهودية والإدارة الوطنية (حيث لم يُنتخَب رئيس للمنظمة الصهيونية بعد أن استقال وايزمان خلال المؤتمر الثاني والعشرين عام ١٩٤٦) بإعلان قيام الدولة الصهيونية. (٢)وبالفعل تحقق ذلك وجاء بنو إسرائيل وتجمعوا في هذه الأرض كما قال ربنا:{ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا } [الإسراء: ١٠٤] وهذا ما رجحه صاحب الأساس في التفسير بعد عرضه لمجموعة من الأراء فيقول: إن التفسير الصحيح لقوله تعالى: وَقُلْنا مِنْ بَعْدِهِ أي: من بعد موسى لِبَنِي إِسْرائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ كل الأرض متفرقين فَإِذا جاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنا بِكُمْ لَفِيفاً أي: جميعا إلى فلسطين، وأن هذا النص يحدد أن الإفسادة الآخرة بعد تفرقهم في الأرض كلها وَقَطَّعْناهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَماً وأما الإفسادة الأولى فتكون قبل ذلك، ومن المعلوم أن التشتيت الشامل على وجه الأرض لبني إسرائيل إنما كان بعد عودتهم من سبي بابل، فيكون التسليط الأول هو تسليط بختنصر، والتسليط الثاني هو الذي يتوقع الآن، بدليل العلو والإفساد. فالإفسادة الأولى كانت لهم دولة وفساد. والآن إفسادهم في الأرض كلها معروف، وسيطرتهم الخفية على بعض بلدان العالم معروفة، واجتمع لهم سلطان ودولة، وأن المرشحين للتسليط عليهم هم العراقيون المسلمون سواء اعتبرنا بختنصر موحّدا أولا، أو المسلمون عامة، إذا كان بختنصر موحدا. (٣)

وبذلك أصبح لهم دولة وكيان وعلو علواً كبير حيث القوة والعتاد والسلاح والمال والبنين وكل شئ تحت إيديهم ووصولهم إلى ذروة المجد والمنعة والجبروت والطغيان بحبل من الله وحبل من الناس،حيث تساعدهم وتساندهم اليوم الدول الكبرى وتمدهم بكل ما يريدون،والأحداث الآخيرة

(١) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية المسيري (١٧/ ٣٩٠، بترقيم الشاملة آليا)

(٢) المصدر السابق (١٧/ ٣٩٧، بترقيم الشاملة آليا)

(٣) الأساس في التفسير حوّى (٦/ ٣٠٤٤) الناشر: دار السلام – القاهرة الطبعة: السادسة، ١٤٢٤ هـ

أظهرت ذلك بوضوح سلاح ومال ودعم مادي ومعنوي بلا حدود وهم قد وصلوا في الإفساد درجات لا حد لها محرقة غزة التي مازلنا نعيش أحداثها من قتل ودمار لم يرى العالم لها مثيلاً إفساد مادي ومعنوي في كل مجالات الحياة المختلفة.

إذاً هذا هو الإفساد الثاني وهنا لابد أن تتحقق السنة الإلهية فيهم،لأن سنن الله غلابة لا تجامل ولا تحابي يقول تعالى:{اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا} [فاطر: ٤٣]

وهنا:« تأتي عقوبة الله على ما اقترفوا من الإثم والجرائم بتفسير من الآيات، إن دولتهم لن يطول فسادها ولا علوها فيقول الله: {فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا}،وهنا حين يخبر الله عن زوال دولتهم استعمل حرف الفاء للعطف، ولم يستعمل ثم، والفاء للعطف مع التعقيب، وتعقيب كل شيء بحسبه وما يناسبه وهو يدل على السرعة المناسبة في حصول المقصود، {فإذا جاء وعد الآخرة} أي لذهاب علوهم الثاني تصبح وجوه بني إسرائيل سيئة، ويبشرنا ربنا جلت قدرته أننا سندخل المسجد الأقصى كما دخلناه أول مرة، وفي هذه الآية إشارة لطيفة إلى دخولنا المسجد مرتين، والمرتان حدثتا بعد نزول الآية، المرة الأولى الفتح العمري للمسجد حين دخله باسم الله والإسلام، والمرة الثانية هذه التي نحن على أبوابها حيث سيدخل المسلمون المسجد فاتحين

للمرة الثانية،ثم يقرر الله أننا سنتبر أي ندمر، ونهلك علو اليهود المادي والمعنوي. ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن فلسطين لم تعرف العمارات ذات الطوابق التي تزيد عن أربعة أو خمسة طوابق إلا في ظل اغتصاب اليهود لها،ولذلك فإن هذه العمارات الشاهقة التي يقيمونها على الأرض المباركة سيلحقها التدمير والخراب،[1]

والسؤال هنا مادام تحقق الإفساد والعلو وهذا الواقع المرير والوجة الأسود لهذا الغاصب المحتل والذي كره العالم الإنساني برمته عدا الشواذ فيه وأصحاب المصالح،فأين العباد أولي البأس الشديد؟الذين سيرسلهم الله عليهم،وماهي معالم الغلبة وشروط النصر ومقوماته وتحقيق الوعد ودخول المسجد كما دخل أول مرة ؟هذا ماسيجيب عليه المبحث التالي.

(١) الإسراء وفلسطين ودولة اليهود الإسراء وعلاقته بقضية المسلمين في الأرض المباركة أسعد بيوض التميمي مجلة البحوث الإسلامية (٤/ ٢٨٣/ ٢٨٤)

المبحث الثاني
معالم النصر من خلال سورة الإسراء

إذا كانت سورة الإسراء بينت واقع بني إسرائيل وفصلت طبيعتهم فإنها كما وصفت الداء ووضعت الدواء والمأمول من أبناء الأمة،ففصلت من هم القوم الذين ينصرهم الله وذكرت طبيعتهم حيث العبودية والبأس الشديد وأقف بشئ من التفصيل مع معالم هذه الفئة وكيف أنها لابد أن تتحقق بقوتين قوة مادية وقوة روحية لتنتصر كما ذكرت السورة الكريمة. يقول الله تعالى: {فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا (٥) ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا (٦) إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا} [الإسراء: ٥ - ٧] والآيات تبين أن القوة الروحية تتمثل في قوله: (عباداً لنا) والقوة المادية تتمثل في قوله: (أولي بأس شديد) فما هي معالم القوتين؟

أولاً: القوة الروحية

من أهم دعائم القوة الروحية للفئة التي يكتب الله لها النصر والعز والتمكين ودخول بيت المقدس وتحرير المقدس جناحان فلا وصول للطائر إلا بهما:

(١) الجناح الأول الإيمان

لكن أي إيمان إنه الإيمان الحقيقي الحي اليقظ الفعال لا المخدر ولا المغشوش ولا الضعيف ولا المزعزع، الإيمان الذي تظهر آثاره في الواقع فيغيره،الإيمان القوي الدافق الذي يشرق في النفس فيهذبها وفي القلب فينيره وفي العقل فيقيمه وفي الروح فيزكيها وينقيها ويصفيها،الإيمان الذي وقر في القلب وصدقه العمل، الإيمان الذي تحدث عنه القرآن في كثير من مواضعه بذكر آثاره وثماره على النفس يقول تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ } [الأنفال: ٢ - ٥].

الإيمان الذي صاحبه خاشع القلب حافظ اللسان والفرج والأمانة والعهد والمقيم والمحافظ

على عبدوية ربه قال جل شأنه: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٨) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩) أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [المؤمنون: ١ - ١١].

بهذا الإيمان الفعال الحي المتحرك تغيرت الدنيا والمعادلات انطلقت الأمة المسلمة يوم أن خرجت من رحمه وأخرجت الدنيا من قلبها عاملة مجاهدة زاهدة راغبة فيما عند الله فغيرت العالم وأخرجته من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد،ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة،ومن ظلم الآديان إلى عدل الإسلام،أخرجته من ظلمات الجهل إلى نور العلم والفهم،ومن الفساد إلى الصلاح، ومن التخلف والرجعية إلى الحضارة والرقي والتقدم ومن الغي إلى الهداية والرشد.

كان الإيمان دائماً هو المنتصر رغم قلة عدد أهله وعدتهم،وخير شاهد يوم بدر يقول تعالى: {وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [آل عمران: ١٢٣]مروراً بالفتوحات الإسلامية شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً،والانتصارات على الحملات الصليبية والتتار ية والمغولية،حين توفر الإيمان،لأن الله وعد أصحابه بالنصر والتمكين يقول تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ } [النور: ٥٥، ٥٦]

وقال تعالى: {إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ} [غافر: ٥١] وقال تعالى: {إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} [آل عمران: ١٦٠] [يونس: ١٠٣، ١٠٤]

وقال تعالى: {وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ } [الأنبياء: ١٠٥، ١٠٦] وقال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ} [محمد: ٧].

ولماذا التركيز على الإيمان في هذا الصراع،لأن الطرف الآخر يحارب عن عقيدة وإن كانت باطلة،لكن جولاته مع الأمة جولات الشرس العنيد الذي يريد أن يبيد ويستأصل الشوكة والبيضة،فهو ينافح من أجل حلمه المزعوم أرض الميعاد،ويعد جنوده ويجندهم على أساس ديني وعقيدة،وحلم الدولة الكبرى،من النيل إلى الفرات، ونبواءات التوراة والتلمود،ومجد دولة سليمان

وإقامة هيكله المزعوم،ومن يسانده يسانده عن عقيدة وهي لابد من علو بني إسرائيل حتي ينزل المسيح،والموضوع فيه تفصيلات كثيرة لكن لمحدودية البحث تكفي الإشارة.

فلابد لمعركتنا معهم أن تكون معركة عقيدة ووجود،والتجارب السابقة التي مرت معهم عندما نحيت العقيدة وضعف الإيمان وغيب عن الميدان أنهزمت جيوش ودول وليس أدل على ذلك من حرب ١٩٦٧م. حيث كانت القوة المادية موجودة لكن فقدنا فيها القوة المعنوية الروحية فقدنا أعظم سلاح وهو الإيمان والنتيجة كانت الخذلان واحتلت بلاد عربية في ساعات قليلة،ولعل قصة بني إسرائيل مع نبي الله موسى خير دليل حيث الخور والضعف والترهل والخوف والجبن وكل هذه من علامات ضعف الإيمان خير دليل يقول الله تعالى:{وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ (٢٠) يَاقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ (٢١) قَالُوا يَامُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ (٢٢) قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [المائدة: ٢٠ - ٢٣] والنتيجة كانت الفسوق والخذلان وضرب الله عليهم التية في الأرض أربعين سنة يقول تعالى: {قَالُوا يَامُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (٢٤) قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (٢٥) قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ} [المائدة: ٢٤ - ٢٦]

واليوم في وقتنا الراهن ومعركة الطوفان مازالت قائمة نرى آيات الله ووعوده تتحقق أكثر من عام ونصف والفئة المؤمنة صابره مجاهده مرابطه متحسبه مضحيه ثابته رغم شراسة المعركة إلا إن سلاح الإيمان حاضر بقوة والمعنويات في السماء تحوم حول عرش الرحمن إما نصر أو شهادة،والقاعدة الربانية والسنة الإلهية تقول إن قوة الإيمان مع قلة عدد وعدة وعتاد الغلبة والنصرة فيها محقق بإذن الله تعالى،وفي قصة جالوت وطالوت العبرة والعظة والمثل والنموذج القرآني يقول تعالى: {فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٢٤٩) وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٥٠) فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ

وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (٢٥١) تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ} [البقرة: ٢٤٩]

ولذلك فإن أول معلم من معالم الغلبة في هذه المعركة هو الإيمان،والمطلوب تنشيطه وتقويته وإحيائه في قلوب أبناء الأمة وأجيالها،وتفعيل المؤسسات التعليمية،والتربوية،والدعوية،والفكري ة،والإعلامية،والتنسيق بينهم لصناعة بيئة إيمانية ومناخ حقيقي بغرس الإيمان الفعال المحرك القوي قولاً وعملاً فكراً وسلوكاً،لا مجرد شعارت جوفاء أو نظريات وطرف فكري،تربية حقيقية قبل فوات الآوان،إيمان يهز عروش الغاصبين ويزلزل أركانهم ويقلق مضجعهم ليرتدعوا عنا وعن حياض أمتنا،والحمد لله تعالى أن البشريات تظهر من خلال معركة الطوفان،وهذه الفئة المؤمنة الصابرة والمتمسكة بالحق والتي لا يضارها من خالفها، ولا من خذلها،حتى يأتي نصر الله سلاحهم الإيمان وعدتهم القرآن والموت في سبيل الله غايتهم.

(٢) الجناح الثاني العبودية

المتدبر لقوله تعالى:{فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا (٥) ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا (٦) إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا} [الإسراء: ٥ – ٧]

والناظر لهذ الآيات يجد :«كلمة عِباداً لَنا تشعر بأنهم المسلمون فهم العباد الحقيقيون لله. وكلمة وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَما دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ تشعر بأنهم المسلمون،فهم أصحاب المسجد،وهم وإن لم يأخذوه من اليهود مباشرة فقد أخذوه ودخلوه المرة الأولى فاتحين. وتكون الآيات مشيرة إلى ما ينبغي فعله لتحرير القدس وفلسطين؟ على أن يخوض المعركة مسلمون اجتمعت لهم العبودية لله والبأس الشديد. ....والذي دعانا إلى أن نحمل هذه الآيات على أحد الاحتمالين السابقين هو أننا لم نجد قوما بأعيانهم قد سلطوا على اليهود مرتين في حال اجتماع العلو والإفساد. (١)

ومما يؤيد ذلك قوله: صلى الله عليه وسلم، :« لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود،فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي، فتعال فاقتله، إلا الغرقد، فإنه من شجر اليهود (٢).

(١) الأساس في التفسير (٦/ ٣٠٤١)باختصار .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٢٣٩) (٢٩٢٢) كتاب الفتن وأشراط الساعةب اب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل

فقوله: (إلا الغرقد) نوع من شجر الشوك معروف ببلاد بيت المقدس،وقيل: هو العوسج، وقد أكثر اليهود من غرس شجر الغرقد في فلسطين في هذه الأيام حسب الأخبار الواردة إلينا،وهذا يعني أنهم يعتقدون صحة معنى هذا الحديث،ويعرفون مصدرهم،ثم هم لا يؤمنون،فما أجرأهم على الله،لعنهم الله (فإنه من شجر اليهود) معناه أن طبعه وخواصه يناسبان طبع اليهود وخواصهم فهو يستر مجرميهم كما أنهم هم كذلك،وكأن القتال المذكور في هذا الحديث قريب،فقد تهيأ الجو لذلك. والله أعلم. (١)

وقوله: يا مسلم يا عبد الله يتوافق مع الآية فمن تحقق بالإسلام وعبودية الرحمن نودي عليه ومن تخلف عنهما فهو بعيد عن هذه البشارة والشرف العظيم والكرامة التي لا تكون إلا للأوليائه وجنده المخلصون.

فما هي العبودية المطلوب تحقيقها في واقعنا حتى ينصرنا الله تعالى؟مفهوم العبودية أوسع مما يتبادر إلى الأذهان حيث تقصر على مجر د إقامة الشعائر من الصلوات والزكوات لكن مفهومها أوسع وأعظم فهي : اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة. فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد للكفار والمنافقين والإحسان للجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادة. كذلك حب الله ورسوله وخشية الله والإنابة إليه و إخلاص الدين له والصبر لحكمه والشكر لنعمه والرضا بقضائه والتوكل عليه والرجاء لرحمته والخوف من عذابه وأمثال ذلك هي من العبادة لله. وذلك أن العبادة لله هي الغاية المحبوبة له والمرضية له التي خلق الخلق لها. (٢)العبودية تعني أن يرى الله تعالى عبده حيث أمره،ويفتقده حيث نهاه،العبودية أن يكون الله تعالى هو المحبوب الأول والآخر والظاهر والباطن.

فالله تعالى :«هو الذى يجب أن يكون هو المقصود المدعو المطلوب،الذى يراد وجهه، ويبتغى قربه، ويطلب رضاه، وهو المعين على حصول ذلك. وعبودية ما سواه والالتفات إليه، والتعلق به: هو المكروه الضار، والله هو المعين على دفعه، فهو سبحانه الجامع لهذه الأمور الأربعة دون

بقبر الرجل، فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء.

(١) منة المنعم في شرح صحيح مسلم (٤/ ٣٦٦) المباركفوري الناشر: دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض - السعوديةالطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م

(٢) العبودية ابن تيمية (ص: ٤٤) الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت الطبعة: الطبعة السابعة المجددة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

ما سواه. فهو المعبود المحبوب المراد. وهو المعين لعبده على وصوله إليه وعبادته له. والمكروه البغيض إنما يكون بمشيئته وقدرته، وهو المعين لعبده على دفعه عنه، (١)

فالعبودية تعني أن :«يكون الله ورسوله أحب إلى العبد مما سواهما، فلا يكون عنده شيء أحب إليه من الله ورسوله، ومتى كان عنده شيء أحب إليه منهما فهذا هو الشرك الذي لا يغفره الله لصاحبه البتة، ولا يهديه الله، قال الله تعالى :{قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} [التوبة: ٢٤] فكل من قدم طاعة أحد من هؤلاء على طاعة الله ورسوله، أو قول أحد منهم على قول الله ورسوله، أو مرضاة أحد منهم على مرضاة الله ورسوله، أو خوف أحد منهم ورجاءه والتوكل عليه على خوف الله ورجائه والتوكل عليه، أو معاملة أحدهم على معاملة الله فهو ممن ليس الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وإن قاله بلسانه فهو كذب منه، وإخبار بخلاف ما هو عليه، وكذلك من قدم حكم أحد على حكم الله ورسوله، فذلك المقدم عنده أحب إليه من الله ورسوله، (٢)

ورحى :«العبودية تدور على خمس عشرة قاعدة، من كملها كمل مراتب العبودية.

وبيانها أن العبودية منقسمة على القلب، واللسان، والجوارح، وعلى كل منها عبودية تخصه.

والأحكام التي للعبودية خمسة: واجب، ومستحب، وحرام، ومكروه، ومباح، وهي لكل واحد من القلب، واللسان، والجوارح. (٣)

بهذه الصفاء والروقي النفسي والقلبي والعقلي تكون القوة الروحية وتتحقق العبودية وعندها لايقف أمام هذا العبد أحد وينطق له الشجر والحجر وينادي يا عبدالله،لأنه أصبح موصولاً به عزوجل رباني إذا أقسم على الله أبر قسمه.

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ابن قيم الجوزية (١/ ٢٦) الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية.

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن قيم الجوزية (١/ ١٢٠) الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م

(٣) المصدر السابق (١/ ١٢٩)

القوة الثانية: القوة المادية

تعتبر القوة المادية هي من أهم معالم ومقومات النصر فقوة الإيمان وحدها لا تكفي مهما علت، والقوة المادية وحدها لا تكفي وإن انتصر أصحابها حيناً من الدهر فهم إلى زوال يقول تعالى: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (٨) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (٩) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (١٠) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ} [الفجر: ٦ - ١٤] وهذا ينبئنا أن قوانين النصر توفر القوتين (الروحية والمادية) ولابد للفئة المؤمن من تحقيقها وأي تقصير فيهما يعني تأخر النصر والسبب هو نحن فسنن الله لا تحابي ولا تجامل فإذا تحقق المقدمات تحققت النتائج ولا مكان للضعفاء في هذا العالم وربنا يقول: {يَايَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ} [مريم: ١٢] وقال عزوجل: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} [العنكبوت: ٦٩])

وفي الحديث عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المؤمن القوي، خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء، فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان»[1] أما التهاون والإهمال وعدم التضحية والأخذ بزمام المبادرة وسبق الآخر بخطوة فتضيع للأوقات والأعمار وإضعاف للأجيال القادمة،وأعرض هنا لأهم جناحي القوة المادية:

(١) الجناح الأول الساعد والسلاح

القرآن الكريم طلب من أتباعه دوام الاستعداد،لأن عدوها لا يهدأ ولا ينام قال تعالى :{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ} [الأنفال: ٣٦] والنفوس الشر لايره لا تنتهي فالصاراع قائم إلى يوم القيامة والدليل على ذلك قوله تعالى: {وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [البقرة: ٢١٧] وقوله:{وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٥٢) (٢٦٦٤) كتاب القدر باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله تعالى.

مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ } [البقرة: ١٢٠] فطلب الله منا التجهز والحيطة والحذر ف٥قال تعالى:{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ } [النساء: ٧١] وطلب من الإعداد يقول الله تعالى:{وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ } [الأنفال: ٦٠] يقول العلماء حول هذه الآية: «والخطاب لجماعة المسلمين وولاة الأمر منهم،لأن ما يراد من الجماعة إنما يقوم بتنفيذه ولاة الأمور الذين هم وكلاء الأمة على مصالحها.

والقوة كمال صلاحية الأعضاء لعملها وقد تقدمت آنفا عند قوله: إن الله قوي شديد العقاب [الأنفال: ٥٢] وعند قوله تعالى: فخذها بقوة وتطلق القوة مجازا على شدة تأثير شيء ذي أثر، وتطلق أيضا على سبب شدة التأثير، فقوة الجيش شدة وقعه على العدو، وقوته أيضا سلاحه وعتاده، وهو المراد هنا، فهو مجاز مرسل بواسطتين، فاتخاذ السيوف والرماح والأقواس والنبال من القوة في جيوش العصور الماضية، واتخاذ الدبابات والمدافع والطيارات والصواريخ من القوة في جيوش عصرنا. (١)

و: «هذا أمر تكليفي وهو فرض كفاية على الأمة الإسلامية يجب على الأمة كلها أن تتعاون في إعداد هذه القوة، بالدربة، والتعليم والرمي،وكل ما يربي الجند القوي.

فلا بد من التربية على الجندية، وإعداد عدة القتال، وذلك بالمستطاع بل بأقصى ما يستطاع، ومن هنا بيانية في قوله (مِّن قُوَّةٍ) وهي تدل على عموم القوى،(٢)

فعلى:«الأمة الإسلامية أن تبذل جهدا مضاعفا في صناعة السلاح، وأدوات القتال، وآلاته من المدفع إلى الصاروخ، ومن البارجة إلى الطائرة. وأن تتقن استعمال السلاح. وأن تتعمق في فهم فن الحرب؛ لتقف على أقدامها في عالم مدجج بأدوات الدمار. وعليها أن تفقه متى تقدم ومتى تحجم. (٣)

ويقول «الحق: {وَأَعِدُّواْ لَهُمْ مَّا استطعتم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الخيل تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ الله وَعَدُوَّكُمْ} [الأنفال: ٦٠] . وهذا يعني: إياك أن تنتظر حتى يترجموا عداءهم لك إلى عدوان؛ لأنهم سيعجلونك فلا توجد عندك فرصة زمنية كي تواجههم فلا بد لكم أيها المؤمنون من أخذ الحذر لأن لكم أعداء،وهؤلاء الأعداء هم الذين لا يحبون لمنهج السماء أن يسيطر على الأرض. فحين

(١) التحرير والتنوير الطاهر بن عاشور (١٠/ ٥٥) الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس سنة النشر: ١٩٨٤ هـ
(٢) زهرة التفاسير أبو زهرة (٦/ ٣١٧٤) دار النشر: دار الفكر العربي.
(٣) الأساس في التفسير (٤/ ٢١٩٤)

يسيطر منهج السماء على الأرض فلن يوجد أمام أهواء الناس فرصة للتلاعب بأقدار الناس. ومن ينتفعون بسيطرتهم وبأهوائهم على البشر فلن يجدوا لهم فرصة سيادة. (١)

والمعنى: «عليكم- أيها المؤمنون- أن تعدوا لقتال أعدائكم ما تستطيعون إعداده من وسائل القوة على اختلاف صنوفها وألوانها وأسبابها. وجاء سبحانه بلفظ قُوَّةٍ منكرا، ليشمل كل ما يتقوى به في الحرب كائنا ما كان. (٢)

ومن خلال هذا العرض لكلام علمائنا الأجلاء يظهر جلياً أن القوة هنا جاءت نكرة لتشمل كل أنواع القوي الروحية والمادية بكل أشكالها وألوانها القوة الجسدية وقوة السلاح والإمكانيات والتخطيط وكل ما يستجد منها إلى يوم القيامة فالأمة القوية هي التي تصنع غذائها ودوائها وسلاحها ولا تعتمد على الآخرين وأي تقصير في هذه القوة فهو تضييع للأمانة وخيانة للأمة وأجيالها.

(٢) الجناح الثاني الوحدة والترابط

الأمة المسلمة لم تنتصر يوماً على عدوها إلا باعتصامها ووحدتها وأخواتها فقوة الوحدة والترابط تأتي بعد قوة الإيمان وهي قوة روحيه ومادية في نفس الوقت وهي من أهم عناصر البأس الشديد وخاصة أن الأمة تملك مقومات لا توجد عند الآخر حيث القوة العديدة والثورات الزراعية والحيوانية والثروة المائية والبترولية والمعدنية والموقع المتميز فعند تحقيق الترابط تكون الأمة رقماً لا يستهان به، وهذا الجناح هو الأول قبل قوة الساعد والسلاح لكن أخترته لسببين: لأهميته،والمعنى الأول المتبادر في البأس الشديد هو قوة الساعد والسلاح.

والتدبر للقرآن الكريم يجد حثنا ربنا العلي يدعون إلى الترابط والأخوة في مواضع متعددة فيقول تعالى مبيناً طبيعة هذه الأمة وكونها جسد واحد بقوله: {إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء: ٩٢] ويقول تعالى:{وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ} [المؤمنون: ٥٢] ويقول تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [الحجرات: ١٠] ويقول تعالى:{نَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ} [الصف: ٤] فالاخوة: «فى الإسلام أخوة نسب وعقل وروح يجمعهم دين الله وهو نسب لا يدخل عليه شيىء مما يدخل على أنساب الميلاد من فرقة فى الرأى واختلاف. (٣)

(١) تفسير الشعراوي (٤/ ٢٣٩٦) الناشر: مطابع أخبار اليوم.

(٢) التفسير الوسيط لطنطاوي (٦/ ١٣٩)

(٣) الدعوة إلى الإسلام مضامينها وميادنيها: الخطيب ص ١٨ طبعة دار الكتاب العربى الطبعة الاولى ١٩٨٢ م.

ولذا أمر سبحانه عز وجل بالاعتصام وحذر من الفرقة فقال تعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠٣) وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [آل عمران: ١٠٣ - ١٠٥] ويقول تعالى: {أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} [الأنفال: ٤٦]

ولذلك حرص الرسول صلى الله عليه وسلم من أول يوم على إقامة الأمة على الأخوة والإخاء: «الذي تمحى فيه كلمة أنا ويتحرك الفرد فيه بروح الجماعة ومصلحتها وآمالها، فلا يرى لنفسه كيانًا دونها ، ولا امتدادًا إلا فيها... ومعنى هذا الإخاء أن تذوب عصبيات الجاهلية ، فلا حمية إلا للإسلام. المعاهدة وأن تسقط فوارق النسب واللون والوطن ، فلا يتأخر أحد أو يتقدم إلا بمروءته وتقواه. وقد جعل صلى الله عليه وسلم هذه الأخوة عقدًا نافذًا؛ لا لفظًا فارغًا ، وعملا يرتبط بالدماء والأموال ؛ لا تحية تثرثر بها الألسنة ولا يقوم لها أثر..!! وكانت عواطف الإيثار والمواساة والمؤانسة تمتزج في هذه الأخوة ، وتملأ المجتمع الجديد بأروع الأمثال... (١)

إذاً التعاون والتراحم والتناصر مطلب رباني ومنهج نبوي، وهذه الأخوة ليست شعارات وخطب رنانه وتضييع للوقت ليكسب العدو ويعد نفسه، إنما لابد أن تترجم إلى مواقف عملية على أرض الواقع،فما قيمة الأخوة والشعارات إذا لم تعاون أخاك عند الحاجة، وتنصره عند الشدة وتقف معه ضد عدوه وتسانده مادياً ومعنوياً،وترحمه عند الضعف ومسكنته وحاجته أما أن تبخل عليه حتي بشربة ماء وألقمة عيش وتحدثني عن التراحم والأخوة فقهذ لا يقبله عقل ولا دين.

لقد صور الرسول صلى الله عليه وسلم مبلغ التعاون والترابط بين أبناء الأمة بعضهم بعض هذا التصوير المعبر حين قال:«إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ. (٢)وشبك بين أصابعه، فاللبنة وحدها ضعيفة مهما تكن متانتها، وآلاف اللبنات المبعثرة المتناثرة لا تصنع شيئا،ولا تكون بناء.

كما صور مبلغ تراحم أبناء الأمة وتكاملهم،وتعاطفهم بعضهم مع بعض بقوله: صلى الله عليه وسلم: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى

(١) فقة السيرة الشيخ محمد الغزالى ص ١٩٠ طبعة دار الشروق ، الطبعة الأولسنة ١٤٢١ هـ٢٠٠٠ م.

(٢) أخرجه البخاري فى صحيحه ١٠٣/١ (٤٨١)، كتاب الصلاة، باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره.

لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى. (١)

بل جعل الإسلام الأمة أمة متكاتفة متضامنة فعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم :«الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ وَيُجِيرُ عَلَيْهِمْ أَقْصَاهُمْ وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ يَرُدُّ مُشِدُّهُمْ عَلَى مُضْعِفِهِمْ وَمُتَسَرِّيهِمْ عَلَى قَاعِدِهِمْ لَا يُقْتَلُ مُؤْمِنٌ بِكَافِرٍ وَلَا ذُو عَهْدٍ فِي عَهْدِهِ. (٢)

وحذر الإسلام من أي شئ يغير الصدور ويفرق بين الأمة فحرم ظلم المسلم لأخيه وخذلانه واحتقاره: فقال صلى الله عليه وسلم:«الْمُسْلِمِ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. (٣)

إن من لوازم الأخوة الصادقة الترابط والتكافل عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ بَيْنَمَا نَحْنُ فِي سَفَرٍ مَعَ النَّبِيِّ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَةٍ لَهُ قَالَ فَجَعَلَ يَصْرِفُ بَصَرَهُ يَمِينًا وَشِمَالاً فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ «مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهْرَ لَهُ وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ» قَالَ فَذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ مَا ذَكَرَ حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لَا حَقَّ لِأَحَدٍ مِنَّا فِي فَضْلٍ. (٤)وفى الحديث: «ما يؤمن من بات شبعان وجاره طاو إلى جنبه. (٥)

فأين الأمة اليوم من أهل: (غزة والضفة) وكل فلسطين وكل المستضعفين من أبناء هذه الأمة؟؟؟وهم يبادون ويهجرون جوعاً لا طعام لا كساء لا دواء لا بيت لا شئ..... حصار ..... ودمار،أين هذه المعاني من واقعنا؟؟؟،؟ وأين أخوتنا وحقوقها تجاههم؟؟؟

والمطلوب من الأمة أن تستيقظ من غفلتها ونومها العميق الذي طال حتى طال العدو كل بقعة إما بتطبيع أو احتلال وتقتيل.... ولا طريق إلا أن تتحر ر من التبعية... وتحقق القوة الروحية والمادية بكل مكوناتها ...وتعد العدة قبل أن يبغتها عدوها ويحتل أرضها ويسبي نسائها ويقتل ذراريها ويأخذ بيضتها فتندم..... ولكن لا ينفع الندم فقد فات الآوان..... وعندها تصرخ وتنادي فلا

(١) أخرجه البخاري فى صحيحه ١٠/٨ (٦٠١١)، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم،

(٢) أخرجه أبو داود فى سننه ٨٩/٢ (٢٧٥١)، كتاب الجهاد، باب في السرية ترد على أهل العسكر، وابن ماجه فى سننه ٨٩٥/٢ (٢٦٨٥)، كتاب الديات، باب المسلمون تتكافأ دماؤهم، وأحمد فى مسنده ٢١٥/٢،

(٣) أخرجه البخاري فى صحيحه ١٢٨/٣ (٢٤٤٢)، كتاب المظالم والغصب، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه.

(٤) أخرجه مسلم فى صحيحه ١٣٥٤/٣ (١٧٢٨)، كتاب اللقطة، باب استحباب المؤاساة بفضول المال.

(٥) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ص ٥٢ (١١٢)

مجيب... فتقول وهي في قمة الندم والآسى والحزن: (أكلت يوم أن أكل الثور الأبيض).

في الحقيقة فإن سورة الإسراء وضعت النقاط على الحروف ووصفت الواقع والتحديات وفتحت باب الأمل والعمل الجاد لأبناء الأمة،فهي كنز زاخر ونهر منهمر ،وها هم أهل سورة الإسراء في الأرض المباركة رغم التحديات والعقبات يسطرون ملحمة من أعجب الملاحم في تاريخ البشرية،عجب منها العدو قبل الصديق،فهزت العالم الإنساني والإسلامي وزلزلت كيانهما وجعلت الجميع يراجع نفسه،فجزا الله أصحاب سورة الإسراء وبيت المقدس خير الجزاء وتقبل شهدائهم وثبت أحياهم..... فأثبتوا أن الأمل في عودة الأمة إلى القيادة والريادة قريب وأن صبحها أوشك على الطلوع وشمسها على الشروق... وعدوها أوشك على الاوفول والمغيب،{وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا} [الإسراء: ٥١]وهذا من حسن الطالع أن تكون هذه الآية من سورة الإسراء.

هذا...وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين..... والحمد لله رب العالمين.

الخاتمة

تشتمل على: نتائج البحث وتوصياته ومصادره ومراجعه.

أولاً: نتائج البحث:

خلص البحث إلى أن القرآن شفاء ورحمة وطريق العز والنصر والأحداث التي تعيشها الأمة تحتاج إلى دوام الرجوع إليه ففيه النجاةوالداء والدواء والوقع والمأمول،وتعتبر سورة الإسراء من أهم السور التي رسمت لنا حقيقة الصراع بيننا وبين بني إسرائيل وأنه صراع قديم له جذوره تتغير فيه الوسائل والأساليب لكن هدفه واحد وهو القضاء على هذه الأمة والسيطرة على العالم،وفي نفس الوقت قدمت الدواء والمأمول لمن يريد حيث طلبت تحقيق القوة الروحية والمادية وذلك بيقظة الإيمان وعبودية الرحمن وتحقيق الأخوة والترابط وقوة الساعد والسلاح عندها تستطيع الأمة أن تنتصر وتعلو رايتها.

ثانياً: التوصيات:

توصي الدراسة بمدارسة هذه السورة المباركة وتدبرها وتحليها وتربية الجيل عليها والخروج منها بمعاني تخدم قضية بيت المقدس وحقيقة الصراع بين الأمة وعدوها،وتوصي بعمل مؤتمرات ودورات وورش عمل للتأطير والتنظير والتعريف بحقيقة الصراع والخروج بواجبات عملية وتفعيلها على كل المستويات العالمية والمحلية سواء الدعوية والتربوية والتعلمية والإعلامية لنصرة القضية الفلسطينية وكل قضايا الأمة المصيرية،تفعيل الأخوة العربية والإسلامية و لم الشمل ونبذ الفرقة والخلاف والوقوف صفاً واحداً فالوضع صعب ولا يحتمل التأخير فكل لحظة تمر تعني يتقدم العدو وتضيع الفرص،العمل على ربط الجيل بالقرآن الكريم من خلال المناشط التعليمية والتربوية والدعوية والإسرية فهو البحر الذاخر وسفينة النجاة في زمن اختلطت فيه الأمور وضاع فيه الحق.

ثالثاً: مصادر البحث ومراجعه

(أ) القران الكريم.... سبحان من أنزله.
(ب) أهم المصادر والمراجع مرتبة ترتيباً أبجدياً.

الأساس في التفسير سعيد حوّى (المتوفى ١٤٠٩ هـ) الناشر: دار السلام – القاهرة الطبعة: السادسة، ١٤٢٤ هـ.

الإسراء وفلسطين ودولة اليهود الإسراء وعلاقته بقضية المسلمين في الأرض المباركة أسعد بيوض التميمي مجلة البحوث الإسلامية مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشادالمؤلف: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) المحقق: محمد حامد الفقي الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية

التحرير والتنوير الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

تفسير الشعراوي – الخواطر المؤلف: محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ) الناشر: مطابع أخبار اليوم.

التفسير المنير للزحيلي التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج المؤلف : د وهبة بن مصطفى الزحيلي الناشر : دار الفكر المعاصر – دمشق الطبعة : الثانية ، ١٤١٨ هـ .

التفسير الواضح الحجازي، محمد محمود الناشر: دار الجيل الجديد – بيروت الطبعة: العاشرة - ١٤١٣ هـ

التفسير الوسيط لطنطاوي محمد سيد طنطاوي الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة الطبعة: الأولى.

الدعوة إلى الإسلام مضامينها وميادنيها: عبد الكريم الخطيب طبعة دار الكتاب العربى الطبعة: الاولى ١٩٨٢ م

زهرة التفاسير محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ) دار النشر: دار الفكر العربي .

السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث: علي محمد الصلابي طبعة مؤسسة اقرأ الطبعة الاولى ٢٠٠٥ م

العبودية: أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ) المحقق: محمد زهير الشاويش الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت الطبعة: الطبعة السابعة المجددة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منهاد. غالب بن علي عواجي الناشر: المكتبة العصرية الذهبية للطباعة والنشر والتسويق، جدةالطبعة: الرابعة، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

فقة السيرة الشيخ: محمد الغزالى: طبعة دار الشروق ، الطبعة الأولىسنة ١٤٢١ هـ٢٠٠٠ م.

مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.

منة المنعم في شرح صحيح مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري رحمه الله (٢٠٦ - ٢٦١ هـ) الشارح: فضيلة الشيخ/ صفي الرحمن المباركفوري حفظه الله الناشر: دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعوديةالطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م

موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية :عبد الوهاب المسيري عدد الأجزاء: ٧ [الكتاب مرقم آليا] أعده للشاملة: أسامة بن الزهراء.